٩ ـ أم حبيبة رضي الله عنها

اسمها «رملة» وقيل: «هند» والصحيح الأول، وأبوها «أبو سفيان؛ صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس» وأمها «صفية بنت أبي العاص بن أمية». وزوجها «عبيد الله بن جحش» أخو «عبد الله» و«أبي أحمد» ابني جحش بن رئاب، كانت «رملة» و«عبيد الله» من السابقين للإسلام، ثم هاجرا إلى الحبشة فراراً من أذى قريش لأتباع الدين الحنيف، وهناك ولدت ابنتها «حبيبة» فاكتنت بها فطغت كنيتها على اسمها.

وفي غمرة سعادتها بالحياة الآمنة على أرض الحبشة استيقظت في أحد الأيام لتسمع زوجها يحدثها عن رجوعه إلى النصرانية التي كان عليها قبل إسلامه، ثم عرض عليها أن تتابعه فأصرت على إسلامها، وفارقته، فأكبَّ على الخمرة، ومات متنصراً، فركنت «أم حبيبة» إلى عِدَّتها، وقعدت على طفلتها، فلما حَلَّت طرقت بابها جارية الملك «النجاشي» وتدعى «أبرهة» لتبشرها أن رسول الله ﷺ قد أرسل إلى الملك ليزوجكه، فأرسلني إليك لتوكلي من يزوجك، فقالت «أم حبيبة»: بشَّرك الله بخير، ثم نزعت سوارين من فضة من يدها وخواتيم من فضة في أصابعها وأعطتها لأبرهة لقاء ما بشرتها به، وأرسلت إلى «خالد بن سعيد بن العاص» فوكلته، ثم إن «النجاشي» دعا «جعفر بن أبي طالب» خطيب المهاجرين ومن معه من المسلمين لشهود العقد، ولما كان العشي، وحضر الناس، خطب «النجاشي» فيهم، فقال: الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وأنه الذي بشر به ـ عيسى ابن مريم ـ.

أما بعد، فإن رسول الله ﷺ كتب إليَّ أن أزوجه «أم حبيبة بنت أبي سفيان» فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ، وقد أصدقتها أربعمائة دينار، ثم سكب الدنانير بين يدي القوم.

فتكلم «خالد بن سعيد» فقال: الحمد لله أحمده وأستعينه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

أما بعد، فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ، وزوجته «أم حبيبة بنت أبي سفيان» فبارك الله لرسوله ﷺ.

ودفع «النجاشي» الدنانير إلى «خالد بن سعيد» فقبضها، ثم أرادوا أن يقوموا فقال: اجلسوا، فإن سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج، فدعا بطعام فأكلوا، ثم تفرقوا[١].

قال «ابن حجر» في «الإصابة»: قالت «أم حبيبة»: فلما وصل إليَّ المال أعطيت «أبرهة» منه خمسين ديناراً، قالت: فردَّتها عليَّ، وقالت: إن الملك عزم عليَّ بذلك، وردَّت عليَّ ما كنت أعطيتها أولاً.

ثم جاءتني من الغد بعُودٍ ووَرْسٍ وعَنْبَرٍ وزُبَّادٍ كثير ـ أنواع من الطيوب ـ فقدمت به معي على رسول الله ﷺ[٢].

وروى «ابن سعد» في «الطبقات الكبرى» عن إسماعيل بن عمرو بن سعيد الأموي، قال: قالت «أم حبيبة»: رأيت في المنام كان زوجي «عبيد الله بن جحش» بأسوإ صورة، فأصبحت فإذا به قد تنصَّر، فأخبرته بالمنام فلم يحفل به، وأكبَّ على الخمر حتى مات.

فأتاني آتٍ في النوم فقال: يا أم المؤمنين! ففزعت، فما هو إلا أن انقضت عدتي، فما شعرتُ إلا برسول «النجاشي» يستأذن، فذكر لأم حبيبة خطبة رسول الله ﷺ إياها من «النجاشي»[٣].

وكان الذي حمل «أم حبيبة» إلى رسول الله ﷺ مع جهازها الذي قدمه «النجاشي» إليها «شرحبيل بن حسنة».

---

(١) انظر الاستيعاب (٤/ ١٩٣٠)، والسمط الثمين (١٥١، ١٥٣).
(٢) الإصابة (٤/ ٢٥٠٨).
(٣) الطبقات الكبرى (٨/ ٩٧، ٩٨).

وحين وصلت «أم حبيبة» رضي الله عنها أمر رسول الله ﷺ «بلالاً»، فأخذ بخطام بعيرها، وأنزلها المنزل الذي أمره النبي ﷺ أن ينزلها به، فلما دخل عليها رسول الله ﷺ، ووجد الطيب عليها وعندها لم ينكره، وقال: «**إنهن قرشيات بطاحيات قرويات، لسن بأعرابيات ولا بدويات**»، وكان بناؤه ﷺ بها في السنة السابعة بعد صلح الحديبية.

وقد تحدث القرآن الكريم عن هذا الزواج المبارك، وروى «ابن سعد» في طبقاته، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قوله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المُمتَحنَة، الآية: ٧] نزل حين تزوج النبي ﷺ «أم حبيبة بنت أبي سفيان»[1].

وكانت «أبرهة» جارية «النجاشي» قد حَمَّلت «أم حبيبة» أمانة قَيِّمة، فحين جاءت «أبرهة» لتودعها، سألتها «أم حبيبة»: هل لك من حاجة؟ قالت: حاجتي إليك أن تقرئي رسول الله ﷺ مني السلام، وتعلميه باتباعي لدينه.

فلما وصلت «أم حبيبة» حدثت رسول الله ﷺ بما صنعه «النجاشي» في خطبتها، وما فعلته «أبرهة»، ثم أقرأت رسول الله ﷺ سلامها، فقال ﷺ: «**وعليها السلام ورحمة الله وبركاته**».

ولما بلغ «أم حبيبة» و«أم سلمة» نبأ وفاة «النجاشي» حزنتا عليه لأنهما لم تنسيا حسن جواره للمهاجرين في الحبشة، وصلَّى رسول الله ﷺ مع أصحابه عليه صلاة الغائب، ودعوا له رحمه الله.

وكانت «أم حبيبة» مخلصة في إيمانها، صادقة مع ربها، فكانت مجابة الدعوة، فقد روى «حميد بن هلال» قال: (لمَّا حوصر «عثمان بن عفان» رضي الله عنه أتته أم المؤمنين «أم حبيبة» فجاء رجل فاطلع في خدرها، فجعل ينعتها للناس، فقالت: ماله، قطع الله يده، وأبدى عورته؟

قال: فدَخَل عليه داخل، فضربه بالسيف، فألقى بيمينه فقطعها، وانطلق هارباً آخذاً إزاره بفيه أو بشماله بادياً عورته).

---

(١) الطبقات الكبرى (٨/٩٩)، والسمط الثمين (١٥٧).

وكان تمسك «أم حبيبة» الشديد بدينها مدعاة لالتزامها بأوامر رسول الله ﷺ فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن النعمان بن سالم، عن عمرو بن أوس، قال: حدثني عنبسة بن أبي سفيان في مرضه الذي مات فيه بحديث يَتَسَارَّا إليه، قال: سمعت «أم حبيبة» تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من صلى اثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة بني له بهن بيت في الجنة**».

قالت «أم حبيبة»: فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ.

وقال «عنبسة بن أبي سفيان»: فما تركتهن منذ سمعتهن من «أم حبيبة».

وقال «عمرو بن أوس» ﵀: ما تركتهن منذ سمعتهن من «عنبسة».

وقال «النعمان بن سالم» ﵀: ما تركتهن منذ سمعتهن من «عمرو بن أوس»[1].

والمقصود بالركعات الاثنتي عشرة هي: أربع قبل الظهر واثنتان بعدها، واثنتان بعد المغرب، واثنتان بعد العشاء، واثنتان إذا طلع الفجر، فهؤلاء اثنتا عشر ركعة.

ولما قدم أبوها «أبو سفيان» المدينة ليزيد في الهدنة ـ قبل إسلامه ـ دخل على ابنته «أم حبيبة»، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته دونه، فقال: يا بنية! أرغبت بهذا الفراش عني أم بي عنه؟ قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت امرؤ نجس مشرك، فقال: لقد أصابك بعدي شر، فهل يفعل هذا بأبيه إلا من كان تقياً محباً لله ولرسوله ﷺ والدين الحنيف؟

وروت عن رسول الله ﷺ خمسة وستين حديثاً، وروى عنها أخواها «معاوية» و«عنبسة» و«عروة بن الزبير» ومولياها «سالم» و«أبو الجراح» و«زينب بنت أبي سلمة» و«صفية بنت شيبة». وأخرج «ابن سعد»؛ عن عائشة ﵂، قالت: دعتني «أم حبيبة» عند موتها، فقالت: قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضرائر،

(١) صحيح مسلم (١/٧٢٨).

فتحلليني من ذلك، فحللتها، واستغفرت لها، فقالت لي: سررتني سرك الله، وأرسلت إلى «أم سلمة» بمثل ذلك، وماتت بالمدينة سنة أربع وأربعين، جزم بذلك ابن سعد وأبو عبيد[1]. رحمها الله تعالى.

(١) الطبقات (٨/ ١٠٠)، والإصابة (٤/ ٢٥٠٩، ٢٥١٠)، والطبقات (٨/ ١٠٠)، والسمط الثمين (١٥٨).

obeikandl.com